وتقديم (بما تعملون) على متعلقه لقصد الاهتمام بذكر عملهم هذا . وما صدق (ما تعملون) ما اعتقدوه وما ماهوا به من أسباب تخلفهم عن نفير الرسول وكثيرا ما سمى القرآن الاعتقاد عملا . وفي قوله (وكان ا بما تعملون خبيرا) تهديد ووعيد .

(بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا [12]) هذه الجملة بدل اشتمال من جملة (بل كان ا بما تعلمون خبيرا) أي خبيرا بما علمتم ومنه ظنكم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون .

وأعيد حرف الإبطال زيادة لتحقيق معنى البدلية . كما يكرر العامل في المبدل منه والانقلاب : الرجوع إلى المأوى .

و (أن) وى .

أوى . أأأأأ مخففة من (أن) المشددة واسمها ضمير الشأن وسد المصدر مسد مفعولي (ظننتم) وجيء بحرف (لن) المفيد استمرار النفي وأكد بقوله (أبدا) لأن ظنهم كان قويا .

والتزيين : التحسين وهو كناية عن قبول ذلك وإنما جعل ذلك الظن مزينا في اعتقادهم لأنهم لم يفرضوا غيره من الاحتمال وهو أن يرجع الرسول صلى ا عليه وسلم سالما . وهكذا شأن العقول الواهية والنفوس الهاوية أن لا تأخذ من الصور التي تتصور بها الحوادث إلا الصورة التي تلوح لها في بادئ الرأي . وإنما تلوح لها أول شيء لأنها الصورة المحبوبة ثم يعتريها التزيين في العقل فتلهو عن فرض غيرها فلا تستعد لحدثانه ولذلك قيل (حبك الشيء يعمي ويصم) .

كانوا يقولون بين أقوالهم : إن محمدا صلى ا عليه وسلم وأصحابه أكلة " بفتحات ثلاث " رأس " كناية عن القلة أي يشبعهم رأس بعير " لا يرجعون أي هم قليل بالنسبة لقريش والأحابيش وكنانة ومن في خلفهم .

و (ظن السوء) أعم من ظنهم أن لا يرجع الرسول صلى ا عليه وسلم والمؤمنون أي ظننتم ظن السوء بالدين وبمن بقي من الموقنين لأنهم جزموا باستئصال أهل الحديبية وأن المشركين ينتصرون ثم يغزون المدينة بمن ينضم إليهم من القبائل فيسقط في أيدي المؤمنين ويرتدون عن الدين فذلك ظن السوء .

والسوء بفتح السين تقدم آنفا في قوله (الظانين با ظن السوء) .

والبور : مصدر كالهلك بناء ومعنى ومثله البوار بالفتح كالهلاك ولذلك وقع وصفا بالإفراد

وموصوفه في معنى الجمع .

والمراد الهلاك المعنوي وهو عدم الخير والنفع في الدين والآخرة نظير قوله تعالى (يهلكون أنفسهم) في سورة براءة .

وإقحام كلمة (قوما) بين (كنتم) و (بورا) لإفادة أن البوار صار من مقومات قوميتهم لشدة تلبسه بجميع أفرادهم كما تقدم عند قوله تعالى (لآيات لقوم يعقلون) في سورة البقرة . وقوله (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) في سورة يونس .

(ومن لم يؤمن باﷲ ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا [13]) جملة معترضة بين أجزاء القول المأمور به في قوله (قل فمن يملك لكم من اﷲ شيئا) الآيات وقوله (وﷲ ملك السماوات والأرض) وهذا الاعتراض للتحذير من استدراجهم أنفسهم في مدارج الشك في إصابة أعمال الرسول صلى اﷲ عليه وسلم أن يفضي بهم إلى دركات الكفر بعد الإيمان إذ كان تخلفهم عن الخروج معه وما عللوا به تثاقلهم في نفوسهم وإظهار عذر مكذوب أضمروا خلافه كل ذلك حوما حول حمى الشك يوشكون أن يقعوا فيه .

و (من) شرطية . وإظهار لفظ الكافرين في مقام أن يقال : أعتدنا لهم سعيرا لزيادة تقرير معنى (من لم يؤمن باﷲ ورسوله) .

والسعير : النار المسعرة وهو من أسماء جهنم .

(وﷲ ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان اﷲ غفورا رحيما [14]) عطف على جملة (فمن يملك لكم من اﷲ شيئا) فهو من أجزاء القول وهذا انتقال من التخويف الذي أوهمه (فمن يملك لكم من اﷲ شيئا) إلى إطماعهم بالمغفرة التي سألوها ولذلك قدم الضر على النفع في الآية الأولى فقيل (إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا) ليكون احتمال إرادة الضر بهم أسبق في نفوسهم .

وقدمت المغفرة هنا بقوله (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) ليتقرر معنى الإطماع في نفوسهم فيبتدروا إلى استدراك ما فاتهم .

A E